الفصل الأول

الأحـــلام عـبـر العصـور

شغـفت الأحلام الإنسـان بغمـوضهـا منذ فجـر العصـور. وكان هناك دائمـا من يحـاول تفسـيـرها. فبـالنسـبة للـمصـريين كـان هناك «يوسف» وبالنسـبة للإغـريق «أفلاطون» وبالنسبة لـلرومان كان لكل جماعة منهم «متنبى» أو «عراف» يفسر لهم الرؤى الليلية التى تزحف إلى عقول النائمـين. وكان يوجد فى تلك الأيام «صوامع» أو محاريب يقـيم بها قساوسة يقـصدهم الناس طلبا للتوجيـه الإلهى والمشورة بشأن الأحلام.

إن أول حلم أو رؤيا على الأرض هى ما رآه سيدنا آدم عليـه السلام فقد أوحى الله تعالى إليـه:«إنك قد نظرت فى خلقى فـهل رأيت لك فيهم شـبيهـا؟ «قال: لا يارب وقد كرمتنى وفضلتنى وعظمتنى فاجعل لى زوجا تشبهنى أسكن إليها حتى توحدك وتعبدك معى. وآراه فى منامه ذلك فانتبه وهى جالسة عند رأسه فقال له ربه: يا آدم ما هذه الجالسة التى عند رأسك؟ فقال له آدم: الرؤيا أريتنى فى منامى يا إلهى.»[1]

ومن أقدم الأحلام المعـروفة التى سجلها التاريخ حلم يوجـد فى التراث القديم لما بين النهرين. وقد تنبـأ هذا الحلم بوقوع كارثة مروعة. ورأى صاحبـه فى منامه موجة بحر هائلة تحيط بالأرض وتغـرق كثيرا منها. وهذا الحلم فى تفصيـلاته يشبه إلى حد كبير ما ورد فى الكتاب المقدس عن الطوفان. ومن المعتقد أن أقدم كتاب عن الأحلام هو ما يعرف باسم Artimedorous s oneiro-critica الذى تضمن مجموعة أحلام سريانيـة وبابلية ومصـرية قديمة. ويعـتبر هذا الكتـاب العمل الوحـيد المتكامل عن الأحلام حـتى القرن التـاسع عشر عندمـا ترجم من اليونانيـة إلى الانجليزية. وأعـيد طبعـه أكثر من ثلاثين مـرة. وهناك أيضا دعاء حـثينى Hittite [2] مـن زمن طـويـل

(١) الكلام عن حلم آدم من إضافة المغرب نقلا عن ابن سيرين تفسير الأحلام الكبير.

(٢) الحثيـون هم شعب فتح آسيا الصغـرى وشمال سورية فى القرن الثـانى قبل الميلاد (٢٠٠٠ - ١٢٠٠ ق.م) واستوطنها. (المعرب).

يتضمن طلب المساعدة ونص كلماته ما معناه «إما أن ترينيها - يعنى المساعدة- فى المنام أو تكشفها لى بالوحى أو أن تجعل أحد القساوسة الملهمين يكشف عنها فى حلم أطلبه منه».

وتتضمن الثقافات العبرية والسلتية أو الكلتية celtic [1] والإغريقية والعربية والهندية والصينية واليابانية والفرنسية والروسية تسجيلات قديمة تظهر أهمية الدور الذى تلعبه الأحلام فى حياة الأفراد بل وفى تشكيل تراث الناس وأقدارهم.

إن الديانات والفلسفات والآداب القديمة (الكلاسيكية) والتاريخ والسياسة والعلوم والفنون كلها تأثرت بقوة الأحلام بدرجة أكبر بكثير مما نتصور عادة. ومن وجهة نظر شخصية بحتة فإن آمالنا وعلاقاتنا وحبنا كلها أمور تقوم على سحر الأحلام. وعندما ننظر عبر العصور الماضية نجد أن الإنسان قد مارس أحلاما معينة. ونرى بوضوح تأثيرها على التاريخ وعلى أسلوب حياتنا. وكل أنواع الأحلام خبرها رجال مشهورون وغير مشهورين. وسواء كانت هذه الأحلام إختراعا أو ابتكارا أو تحذيرا أو تنبوءا فإك كثيرا منها قد اندمج فى تاريخ كل شعب على الأرض. بعضها كان واضحا ولا يحتاج إلى تفسير. وبعضها كان لأحداثه تأثير متعاقب أشبه بحركة القطار. وما زال لها تأثير حتى اليوم. بل ويبدو أن هذا التأثير سيستمر لمدة طويلة قادمة بصورة أشبه بالتفاعل المتسلسل.

الأحلام قديما: كانت الأحلام بالنسبة لأجدادنا الأوائل بمثابة رسائل من الإله. ومع أن هذا الإله الخالد لم يهبط على الأرض فإنهم كانوا يعتقدون أنه يراقب الأفراد- وهم فانون - فى صراعهم من أجل فهم سر الحياة. لقد كان للأشوريين والبابليين والسوماريين إله الأحلام أن ـ زا ـ أور An-za-oar وكانوا يعتقدون أنه يقيم مجلس حكم أو قضاء فيما وراء الدنيا فيما سموه «بالأرض العظيمة» وقد ترك فى هذه الأرض مجموعة من المساعدين مهمتهم توصيل تعاليمه المقدسة للنائمين وكان للإغريق «زيوس» وهو أبو الآلهة وكان يساعده هيبنوس إله النوم وابنه مورفيوس إله الأحلام. وبمساعدة هؤلاء كان زيوس يرسل تحذيراته وإلهاماته ونبؤاته

(١) نسبة إلى السلت أو الكلت وهم أخر مجموعة من المهاجرين الذين أقاموا فى بريطانيا قبل الرومان. وترجع أصولهم إلى الشعوب الهندية الأوروبية.

للإنسانية عن طريق هيرميز رسول الآلهة أو الرسول المجنّح (أى له أجنحة). إن الأساطير غنية بالقصص التى تصف التجليات الربانية التى وجدت بين الإله وبين البشر. وهو ما يذكرنا دائما بما نجد اليوم فى لغة النوم وفى الأحلام التى يهيئوها لنا الإله.

إن «هوميروس» يخبرنا بأن «بيرسيوس» رأى فى منامه ذات مرة كيف يستطيع أن يقتل «الفرعونة» (١) الماردة الجبارة ذات الرأس الثعبانية والنظرة المميتة القاتلة لمن ينظر إلى عيونها» لقد كان الفضل لآثين Athene إله الحكمة الذى جاءه في المنام وطلب منه أن يصقل درعه حتى يصير كالمرآة وفيها ينظر إلى صورة الماردة المنعكسة فيتفادى النظر إليها مباشرة وبهذا يستطيع أن يقتلها.

وفى إلياذة هوميروس يتحدث أخيلس قائلا: هيا نبحث عن قسيس أو مفسر أحلام. فالأحلام تأتى من «زيوس» وهو الذى يستطيع أن يخبرنا لماذا يصب علينا «أبولو» جام غضبه. هل هو غير راض عن صلواتنا وأضاحينا ؟ (٢).

حضانة(٣)الحلم قديما:

كانت الأحلام وتفسيرها صورا من التقديس استخدمها كثيرا الأغريق ومن قبلهم من الثقافات القديمة فى العالم. والغرض من هذه الأحلام شأنها شأن الحكم والنصائح الدينية بصفة عامة هو معرفة مراد الإله والتوصل إلى تعاليمه المقدسة. وعملية البحث عن الأحلام فى طلبها الإستعانة بالله تسمى حضانة الأحلام. وتختلف طرق عمل ذلك فى تفصيلاتها وإن كانت تتشابه جميعها بالنسبة للعالم القديم.

ويمكن تعريف حضانة الحلم بأنه الدخول فى النوم فى مكان مقدس بغرض التوصل إلى إجابة على سؤال موجه للرب من خلال الرؤية فى المنام أو الحلم. ويلزم

(١) الفرعونة Gorgo هى إحدى أخوات ثلاث فى الأساطير الإغريقية مكسوات الرؤس بالأفاعى بدلا من الشعر وكان كل من ينظر اليهن يتحول إلى حجر (المعرب).

(٢) كان الأغريق يضحون للآلهة بمائة ثور (المعرب).

(٣) ترجمة لكلمة Incubation وهى تعنى تضمير أو عقد النية على الحلم المراد وما يتصل بذلك من طقوس. وسيتردد هذا التعبير كثيرا فى الكتاب وله تفسيرات أكثر سترد أيضا فيما بعد (المعرب).

قبل ذلك القيام بالطقوس المطلوبة وهى أساسا تتضمن الإمتناع عن الجماع وعن أكل اللحم وشرب الخمر وعمل نذر للإله.

إن الأدب الاغـريقى واللاتينى ملـئ بالأمثـلة التى تكشف عن هذه الصـيـغـة من الإتصال بآلهـتهم. وكثيـر من المعابد والمحاريب المقـدسة عند الاغريق كـانت أماكن للتوجيه والنصيـحة فيما يتعلق بالأحلام. وكان يقـصدها أى شخص يواجه مشكلة. ومـثـال هذه الأماكن المـشهـورة «دلفـاى» Delphi وهو مـحـراب «أبولو» ومـعـبـد ابيـــــدوروس Epidauros . وكـان المرضى يقـصـدون هذين المكـانين مـؤملين أن «آسكليبـيوس» Asklepius إله الشفاء أو العافيـة وهو ما يقابل «امحوتب» إله الطب عند المصـريين القدمـاء سيـأتيهم فى منامـهم. وعندما يفـعلون ذلك تقدم لهـم عادة وصـفـة عمليـة فى صـورة دواء عـشـبى أو دواء مركب فـى بعض الأحيـان. وكـان القساوسة يقـومون بتفسير أحـلامهم بما تتضمنه من رسائل مقـدسة تظهر أو تتكشف من خلال سلسلة من الأحلام وليس من مجرد حلم واحد. وهناك كتابات منحوتة أو نقوش خـاصة بالنذور يمكن رؤيتهـا حتى الآن تشهد بـأن كثيرين قـد غادروا هذين المحرابين بعد أن كتب لهم الشفاء التام.

لقد بذل الفـلاسفة القدمـاء محاولات جاهدة لتـفسير أسـرار النوم والأحلام فى صورة أسباب جـسمية. وهو ما حاوله فى الواقع أصحـاب نظرية الفطرة السليمة أو الادراك العام common Sense فى بداية هذا القرن.

كان أفـلاطون على سبيل المثال يعـتقد أن الكبـد هو مقر الأحلام لكنه فى مـؤلفه المشهور Timaeus نراه أكثر مرونة عندما قال بأن الرؤى التنبؤية تتلقاها الذات الدنيا من خلال الكبد .

ويرى جـالين Galen مثله مثل شيشرون أن كـل الأحلام تحذيرات صحية. لكن أرسطو كان يعتقد أنها تأثيرات عقلية ناتجة عن أسباب جسمية. على أن ديمقريطس من ناحيـة أخرى يعتـبر أن سـببهـا هو أشياء تسـبح فى الفضاء وتـهاجم الروح أثناء النوم. ويعتقد بلينى Pliny أن أسبابها فوق طبيعة Supernatural لكن من المحتمل أن يكون أبو قراط- أبـو الطب عند الأغريق - أقربـهم إلى الحقيـقة عندمـا قال: «إن بعض الأحلام أساسه مقدس والبعض الآخر هو نتيجة مباشرة للجسم أو البدن».

ومع أن فلاسفة الإغريق آنذاك قد درسوا أسباب الأحلام فإن العامة من الناس كانوا أكثر اهتماما بتفسيرها ومعرفة مضمونها. إذ كانت الأحلام بالنسبة لهم مصدراً هاما للمعلومات. ولهذا كان هناك إقبال كبير على مفسرى الأحلام يقصدهم الناس طلبا للنصح كما يفعل الناس بالنسبة للأطباء اليوم. والفرق بينهم هو أن مفسرى الأحلام كان يتوقع منهم أن يتوصلوا من الأحلام إلى حلول للمشكلات الشخصية وإلى علاج للعل والأجسام أيضا.

بوابة الأحلام عند الأغريق:

إن معظم الأحلام ينظر اليها على أنها تحذيرات أو نبؤات. والحلم التحذيرى يعنى أنه يمكن تفادى المشكلة إذا عمل بمضمون الرسالة المتضمنة فيه. أما بالنسبة للحلم التنبؤى فلا حيلة فيه. إذ لا يمكن عمل أى شئ بالنسبة للموقف. وقد استخدم الأغريق للتمييز بين هذين النوعين من الأحلام طريقة تعرف باسم «بوابة الأحلام». فمن الواضح أنه كانت هناك بوابتان للأحلام إحداها من العاج أو سن الفيل والأخرى من قرن الحيوان. ويكون الحلم تحذيريا إذا مر من بوابة العاج وبنوئيا إذا مر من بوابة قرن الحيوان.

إن الأحلام أو بالأحرى عقولنا الحالمة تهوى التلاعب بالألفاظ ولذلك ليس من المستغرب أن ينطبق ذلك على هاتين البوابتين الرمزيتين. فكلمة العاج باليونانية تعنى أيضا الغش أو الخداع وكلمة قرن الحيوان تعنى أيضا تحصيل الشئ أو تحقيقه وهما تشيران إلى ما يمكن تفاديه وما لا يمكن.

الأحلام عند المصريين القدماء:

إن إحتضان الأحلام أو حضانتها كان ممارسة شائعة فى مصر القديمة من عام أربعة آلاف إلى ألفين قبل الميلاد. وحسب ما يرويه أحد الكتاب أو المكتشفين فى أول القرن التاسع الميلادى أن هناك قرية تسمى «أبو صير» على حافة الصحراء الغربية جنوب مصر وفيها يمكن رؤية السجن الذى أودع فيه يوسف حسب أمر فرعون. وهو مكان يشبه الكهف فيه تمثال ليوسف وهو جالس وعلى ركبتيه كتاب مفتوح مكتوب عليه رموز. وكان هذا السجن يشكل أساسا جزءا من المجموعة الكبيرة التى عرفت عند الأغريق بمجموعة معبد «ممفيس» وهو من أعظم محاريب

التطبيب والحكمة فى العالم القديم. والواقع أن هذا السجن الشبيه بالكهف كان الحجرة التى دفن فيها أمحوتب نفسه.

رئيس السقاة ورئيس الخبازين:

منذ أن سجن يوسف أصبحت الآلهة فى مصر القديمة تغزو المكان. وليس من الغريب إذن أن يحلم رئيس السقاة أو الخدم ورئيس الخبازين- وهما زميلان سجينان من خدم فرعون- حلمين نبوئيين إستطاع أن يفسرهما يوسف بدقة فى ذلك المكان المقدس.

وكان للفراعنة وملوك مصر تقدير كبير لأحلامهم، واعتقدوا أنها تنطوى على توجيه مقدس ووقاية لهم ولمن سيخلفهم من الأسرة الملكية. وبين براثن أبى الهول الكبير يوجد حجر وردى من الجرانيت نقش عليه حلم رجل صار فيما بعد ملكا. فقد كان هذا الرجل يجلس فى ظل أبى الهول عندما غلبه النوم وتبدى له «رع» إله الشمس وأخبره بأنه سيكون يوما حاكم مصر. وعندما استيقظ من نومه نظر إلى أبى الهول فوجد أن الرمال قد كست جزءا منه وأنه فى حاجة إلى إصلاح. فأقسم على أن يقوم بعمل ذلك وأن يجعله فى صورة أحسن إذا تحقق حلمه. وقد تحقق بالفعل حلمه بعد سنوات قليلة وأصبح تحتمس الرابع. وعندها تذكر العهد الذى أخذه على نفسه. فقام بإصلاح بناء أبى الهول وأعاده إلى عظمته السابقة. ومنذ ذلك التاريخ حتى الآن أصبح أبو الهول محفوظا وفى مآمن من الرمال التى تقذفها الصحراء.

وهناك إلى جانب هذا التقش على أبى الهول توجد نقوش هيروغليفية تغطى كثيراً من التماثيل فى مصر لاسيما فى معبد«أمحوتب» الذى توجد به بعض سجلات لأحلام منسية. وبعض هذه النقوش تكشف عن معانى أحلام حقيقية. تفسير هذه الأحلام يقول:«إن معنى وجود سرير على النار هو أن رفيقك غير مخلص لك» وتفسير آخر يقول: «إذا رأيت ثيرانا أو بقرة ميتة فهذا يعنى أنك ستنتصر على خصمك أو اعدائك».

أحلام الكتاب المقدس:

يعتبر الكتاب المقدس من أغنى مصادر العالم القديم عن الأحلام. ففى العهد القديم والعهد الجديد يوجد أكثر من عشرين حلما موثقا توثيقا جيدا. وكل منها

يتضمن بأسلوب متنوع توجيها مقدسا فى صورة تحذير أو تنبوء. وقد كانت الرسالة التى تتضمنها الأحلام قوية لدرجة يمكن معها من المنظور التاريخى أن نرى هذه القوة التى إستطاع العمل بها أن يوجه أقدار الشعوب وأن يغير مجرى التاريخ فى كثير من الأحيان.

أحلام العهد القديم:

عندما ننظر إلى ما ورد فى العهد القديم من الرؤى والأحلام نجد أن الكلمة العبرية «للرؤية» و«الحلم» لهما معنى واحد هو «يرى» وكان من إمارات النبوة أن يصيح النبى «لقد رأيت حلما. لقد رأيت حلما». وكانت تهيئة الظروف للحلم والتى تعرف بحضانة الحلم مشابهة لما كان فى باقى العالم القديم كما يتضح من سفر الملوك الإصحاح الثالث وفيه يرد: «فى جبعون تراءى الرب لسليمان فى حلم ليلا» هناك مثال آخر هو الرؤية الليلية لصموئيل فى سفر «صموئيل الأول» الإصحاح الثالث حيث يبدو تعوده على أن «يضجع فى هيكل الرب».

وهناك حلم يعقوب فى «بيت إيل» الموضح فى الرصحاح الثامن والعشرين من «سفر التكوين» وهذا الحلم يقدم لنا تفصيلات عن الصومعة الكنعانية القديمة التى عاد إليها يعقوب ليستشير هاتف الغيب أو الوحى فى الحلم أثناء النوم «ما هذا إلا بيت الله وهذا باب السماء».

إن الأحلام فى الكتاب المقدس تنقسم إلى قسمين متميزين أحدهما صريح مباشر والآخر رمزى غير مباشر. وفى النوع الأول يخاطب الله أو رسوله النائم فى الحلم بصورة مباشرة ويعطيه تعاليم واضحة لا تحتاج إلى شرح أو تفسير. أما فى النوع الثانى فتكون الرسائل رمزية وتظهر فى شكل أمثال. وهذه تحتاج إلى تفكير وتفسير كبير حتى يمكن إستخلاص معانيها. ومن بين المفسرين فى الكتاب المقدس يظهر يوسف ودانيال كخبيرين عارفين. وكل العبرانيين كانوا مؤهلين لهذا الفن ولم تواجههم صعوبة كبيرة فى التعرف على الرسائل التى تحتويها الأحلام.

لقد ذكر بوضوح فى الكتاب المقدس أن الله كلم الانسان فى الأحلام «لكن الله يتكلم مرة وباثنتين لا يلاحظ الإنسان. فى حلم رؤيا الليل عند سقوط سبات على الناس فى النعاس على المضجع. حينئذ يكشف آذان الناس ويختم على تأديبهم (سفر

أيوب الأصحاح ٣٣ : ١٤ - ١٦). إن أول حلم فى العهد القديم مثال ممتاز على الاتصال المباشر بالمعنى الصريح الواضح: «فجاء الله إلى «أبيمالك» فى حلم الليل وقال له : ها أنت ميت من أجل المرأة التى أخذتها فإنها متزوجة ببعل». (سفر التكوين الإصحاح العشرين).

إن حلم يعقوب المشهور الذى رأى فيه سلما يمتد من السماء العلا إلى الأرض الدنى، هو حلم صريح مباشر ورمزى غير مباشر فى نفس الوقت كما يتضح من نص الكتاب المقدس التالى:

«ورأى حلما وإذا سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها. وهو ذا الرب واقف عليها. فقال أنا الرب إله إبراهيم أبيه وإله إسحق، الأرض التى أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك» (سفر التكوين - الإصحاح ٢٨ : ١٢).

وفى حلم تال بعد أن ترك «بنى لابان» تلقى يعقوب مرة أخرى تعاليم ربه عن هلاك هذه المرة :«وقال لى ملاك الله فى الحلم: يا يعقوب فقلت : ها أنذا .فقال : أرفع عينيك وأنظر. جميع الفحول الصاعدة على الغنم مخططة ورقطاء ومنمرة... الآن قم أخرج من هذه الأرض وأرجع إلى أرض ميلادك» (سفر التكوين الإصحاح ١٣ : ١١ - ١٣).

إن دور الملاك الوسيط فى هذا الحلم يشبه ـ مع الفارق ـ رسل زيوس ومساعدى آن ـ زا ـ أور إله السومريين والبابليين والآشوريين وغيرهم من وسطاء الأحلام فى كل العالم القديم.

حلم فرعون:

إن أكثر الأحلام ذيوعا وشهرة فى الكتاب المقدس هو بالتأكيد حلم فرعون الذى فسره له يوسف الابن المفضل ليعقوب. وكان يوسف على معرفة بتأويل الأحلام وقد وضعه فرعون فى السجن مع فتيين هما رئيس سقاته ورئيس خبازيه لتوهمه أنهما يريدان قتله بوضع الم له فى طعامه وشرابه وقد رأى كل منهما فى السجن حلما خاصا. ولم يكن من المستغرب أن يحلما كما فعلا إذا عرفنا أنهما سجنا فى مقبرة

أمحوتب المشهورة التى تقع وسط معبد من أعظم معابد التطيب وطلب الشفاء ووساطة الأحلام فى مصر القديمة والذى يعرف عند الأغريق باسم اسكليبينيون Asclepienion نسبة إلى اسكليبيوس Asclepius إله الطب عندهم. والقصّة كما ترد فى الكتاب المقدس هى على النحو التالى:

«فدخل يوسف إليهما فى الصباح ونظرهما وإذا هما مغتمان فسأل قائلا لماذا وجهاكما مكمدان اليوم. فقالا له حلمنا حلما وليس من يعبره. فقال لهما يوسف أليست لله التعابير؟ قصا على».

«فقص رئيس السقاة حلمه على يوسف وقال له كنت فى حلمى وإذا كرمة أمامى، وفى الكرمة ثلاث قضبان (فروع). وهى إذ أفرخت طلع زهرها وأنضجت عناقيدها عنبا. وكان كأس فرعون فى يدى. فأخذت العنب وعصرته فى كأس فرعون وأعطيت الكأس فى يد فرعون. فقال له يوسف هذا تعبيره: الثلاثة القضبان هى ثلاثة أيام. حينما يصير لك خير تصنع إلى احسانا وتذكرنى لفرعون وتخرجنى من هذا البيت » (السجن).

«فلما رأى رئيس الخبايزن أنه عبر جيداً قال ليوسف كنت أنا أيضا فى حلمى وإذا ثلاثة سلال حوارى (بيضاء) على رأسى. وفى السل الأعلى من جميع طعام فرعون من صنعة الخباز. والطيور تأكله من السل على رأسى. فأجاب يوسف وقال هذا تعبيره. الثلاثة سلال هى ثلاثة أيام. فى ثلاثة أيام أيضا يرفع فرعون رأسك عنك ويعلقك على خشبة وتأكل الطيور لحمك عنك» (سفر التكوين - الاصحاح ٤٠ : ٥ - ١٩ »[1].

وقد تحقق ذلك بالفعل فبعد ثلاثة أيام عاد كبير السقاة إلى خدمة فرعون وشنق كبير الخبازين وعلقه على الشجرة. وبقى يوسف فى السجن منسيا ومرت سنتان.

(١) النص القرآنى المقابل هو : ودخل معه فى السجن فتيان قال أحدهما إنى أرانى أعصر خمرا وقال الآخر إنى أرانى أحمل فوق رأسى خبزاً تأكل الطيور منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين. قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمنى ربى إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون.. ياصحبى السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضى الأمر الذى فيه تستفتيان» (سورة يوسف : الآيات ٣٦ - ٣٧ - ٤٢).

ورأى فرعون حلما لم يستطع فهمه أحد من حكماء مصر. وتذكر كبير الخدم حلمه فى السجن وتذكر فجأة يوسف العبرانى الذى أصاب تفسير حلمه وحلم زميله الخباز. وأرسل فى طلب يوسف على الفور. «فقال فرعون ليوسف إنى كنت فى حلمى واقفا على شاطئ النهر وهو ذا سبع بقرات طالعة من النهر سمينة اللحم وحسنة الصورة. فارتعت في روضة ثم هو ذا سبع بقرات أخرى طالعة وراءها مهزولة وقبيحة الصورة جدا ورقيقة اللحم. لم أنظر فى كل أرض مصر مثلها فى القباحة. فأكلت البقرات الرقيقة والقبيحة البقرات السبع الأولى السمينة «(سفر التكوين الإصحاح (٤١ : ١٧ - ٢٠) [١].

وإستيقظ فرعون لكنه واصل الحلم فيما بعد عندما ظهر أن سبع سنوات كان محصول القمح فيها وفيرا تيعتها سبع سنوات كان محصول القمح فيها شحيحا فأكلت السبع سنوات الفقيرة: المحصول الغنى للسبع سنوات السابقة. إن المعنى التنبؤى الذى عزاه يوسف لهذا الحلم معروف جيدا وهو أن سبع سنوات من الوفرة يعقبها سبع سنوات من القحط. لكن الذى لم يتبين جيدا هو أن التأثيرات المترتبة على ذلك الحلم ما زالت ملموسة حتى الآن. وهى تعطى مثالا رائعا على القوة العظيمة لبعض الأحلام وتأثيرها لا على صاحب الحلم فى حينه فحسب بل وعلى الآخرين من أجيال تالية. ومتى بدأ عمل الحلم تتسلسل الأحداث كما حدث في حلم فرعون وتبدأ سلسلة من التفاعل الذى يستمر ربما إلى الأبد.

والسؤال هنا هو ماذا كان يحدث لو أن فرعون لم ير هذا الحلم؟ إن سلسلة الأحلام لم تبدأ بحلمه هو وإنما بحلمى كبير خدمه وكبير خبازيه قبل سنتين. وماذا كان يحدث لو أنهما لم يريا حلميهما ؟ عندئذ ما كان يوسف ليفسرهما. ولما وصلت سمعته كمفسر أحلام إلى آذان فرعون ولما تحقق هدفه ولما خزنت مصر حبوبا إستعدادا لسنوات القحط السبع ولما جاء إلى مصر أخوة يوسف الأحد عشر مع أبيهم يعقوب الذى عرف فيما بعد بإسم «إسرائيل» ليشتروا القمح. ولما اجتمع شملهم مع يوسف الابن المفضل عند أبيهم والذى رموه فى الصحراء قبل ذلك

(١) النص القرآنى المقابل هو : «وقال الملك إنى أرى سبع بقرات سمان تأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يأيها الملأ افتونى فى رؤياى إن كنتم للرؤيا تعبرون». سورة يوسف الآية ٤٢.

بسنوات. ولما أقاموا بمصر كما فعلوا. ولو لم يجتمع شمل الإخوة الاثنى عشر لم وجدت الأسباط الإثنا عشر لإسرائيل [1] وبدون ذلك لما كان هناك خروج من مصر ولا أرض الميعاد ولا قدر داود ولا ميلاد المسيح كما نعرفه. وهكذا كان حلم فرعون تنبؤيا بلا شك على المدى القصير لكن ظلاله امتدت بتأثيرها فى المستقبل أبعد بكثير من الأربعة عشر عاما التى شملتها فترة نبوءة يوسف.

حلم آخر لفرعون مع سيدنا موسى [2]

رأى فرعون حلما فظيعا أفزعه. فقد رأى كأن نارا خرجت من الشام أقبلت حتى انتهت إلى مصر. فلم تدع شيئا إلا أحرقته. وأحرقت بيوت مصر كلها. ومدائنها وحصونها. فاستيقظ من نومه فزعا مرتاعا وجمع ملأ عظيما من قومه وقص عليهم ما رأى. فقالوا له: لئن صدقت رؤياك ليخرجن من الشام رجل من ولد يعقوب يكون هلاك مصر وهلاك أهلها على يديه وهلاكك أيها الملك. عندئذ أمر فرعون بذبح الصبيان حتى أظهر الله تعالى تأويل رؤياه ولم تغن عنه حيلته شيئا وربى موسى عليه السلام فى حجره وكان هلاكه على يديه. وترد إشارات كثيرة فى الكتاب المقدس إلى أن الله كلم موسى وقال له أنا الرب. وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك أيضا فى سورة النساء بقوله تعالى : ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾.

حلم سليمان:

بعد ذلك يقرون جاء سيدنا سليمان وترائ له الرب فى المنام وتحدث إليه. يقول «الكتاب المقدس» «فى جبعون تراءى الرب لسليمان فى حلم ليلا. وقال الله اسأل ماذا أعطيك. «(سفر الملوك الأول. الاصحاح ٣ : ٥).

واستجابة لذلك طلب سليمان ـ وكان ما زال فى الحلم ـ العون من الله وأن يعطيه قلبا فهيما يميز بين الخير والشر فحسن الكلام فى عيون الرب الذى كافأه على ذلك «بالغنى والكرامة».

---

(١) الأسباط جمع مفرده سبط وهو بالنسبة لليهود كالقبيلة بالنسبة للعرب قال تعالى : «وقطعناهم اثنتى عشرة أسباط اسما» (المعرب).

(٢) هذا الحلم غير موجود فى الأصل الإنجليزى وهو من إضافة المعرب.

بختنصر (نبوخذ نصر) ودانيال:

كان بختنصر (نبوخذ نصر) ملك بابل حالما كبيرا وقد أتعبته أحلامه كثيرا. ومما زاد من تعبه أنه كان ينسى أحلامه عندما يستيقظ وما يترتب على ذلك من ذكريات لاشعورية مقلقة. وكان غير قادر على استرجاعها أو تذكرها. وليس من الغريب أن تفشل الإستعانة بالسحرة المشهورين لتفسير الأحلام لأنه كان المطلوب منهم أن يتوصلوا إلى الأحلام نفسها ثم معانيها وتفسيرها. أحد الأحلام على وجه الخصوص حير الملك كما يرد فى «سفر دانيال» الاصحاح الثانى: ٥ «فأجاب الملك وقال للكلدانيين (الحكماء) قد خرج منى القول إن لم تنبئونى بالحلم وتعبيره تصيرون إربا إربا وتجعل بيوتكم مزبلة» بيد أن الحكماء لم يستطيعوا الوفاء بهذا المطلب الصعب فجاء الأمر بأن يوضعوا فى السجن ثم يقتلون. وكان دانيال من بين هؤلاء الحكماء. ويقول الكتاب المقدس إن دانيال أوتى فهم الرؤى والأحلام وقد استطاع بسرعة أن يقنع حارسه بهذه الحقيقة. فدخل الحارس إلى الملك وقال له: «قد وجدت رجلا من بنى سبى يهوذا (ابن يعقوب) الذى يعرف الملك بالتعبير. وعندما صار فى حضرة «نبوخذ نصر عرفه دانيال بأن حلم الملك بكل تفصيلاته قد تكشف له فى المنام. قال: «أنت أيها الملك كنت تنظر واذا بتمثال عظيم. هذا التمثال العظيم البهى جدا وقف قبالتك ومنظره هائل. رأس هذا التمثال من ذهب جيد. صدره وذراعاه من فضة. بطنه وفخذاه من نحاس. ساقاه من حديد. قدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف. كنت تنظر إلى أن قطع حجر بغير يدين فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما. فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معا وصارت كعصافة البيدر فى الصيف» (سفر دانيال الاصحاح ٢ : ٣١ - ٣٥).

وكان هذا هو الحلم الرمزى المنسى. وتفسيره هو أن بختنصر (نبوخذ نصر) سيكون حاكما لممالك كثيرة. وكانت الرأس الذهبية تمثله هو. وإذا كانت المماليك تأتى وتذهب فقد أكد له دانيال أن ممالكه ستستمر إلى الأبد. أما قدم الخزف فيبدو أنها تدبيجة ظريفة من دانيال ربما لإسعاد الملك.

أحلام العهد الجديد :

إن الأحلام فى العهد الجديد أقل منها فى العهد القديم لكنها لا تقل عمقا. لقد ظهر ملاك الرب فى المنام ليوسف وأعطاه الرسالة الصريحة المباشرة التالية: «يا يوسف إبن داود لا تخف أن تأخذ مريم إمراتك لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس» (إنجيل متى الإصحاح ١ : ٢٠).

وفيما بعد تلقى المجوس أو الحكماء الثلاثة هذا الحلم التحذيرى بعد تقديم هداياهم من الذهب واللبان والمر للطفل الوليد» اذ أوحى إليهم فى حلم ألا يرجعوا إلى هيرودس انصرفوا فى طريق أخرى» وبعد ما انصرفوا إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف فى حلم قائلا قم وخذ الصبى وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك. لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبى ليهلكه. (إنجيل متى . الاصحاح ٢ : ١٢ - ١٣).

وقد فعل يوسف ذلك. وبقى فى مصر حتى ظهر له ملاك الرب فى حلم آخر» فلما مات هيرودس إذا ملاك الرب قد ظهر فى حلم ليوسف فى مصر قائلا: قم وخذ الصبى وأمه واذهب إلى أرض إسرائيل لأنه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبى (متى : ٢ : ١٩ - ٢٠).

هنا نجد مثالا آخر يوضح لنا التأثير بعيد المدى للحلم على أقدار البشرية. فلولا هذا الحلم لكان من المشكوك فيه أن ينجو الطفل وأمه من مذبحة الأبرياء. وقد نتساءل الآن كيف يكون شكل التاريخ بدون ظهور الدين المسيحى ومن بعده الدين الاسلامى وتأثيرهما على أحداث العالم. وبعد مرور ثلاثين عاما أرسلت زوجة بيلاطس رسالة له. يقول عنها الكتاب المقدس: «وإذا كان جالسا على كرسى الولاية أرسلت إليه امرأته قائلة إياك وذلك البار لأنى تألمت اليوم كثيرا فى حلم من أجله» (متى : ٢٧ : ٢٩).

إن هذا الحلم لم يكن له أى تأثير على التاريخ لأنه مع صراحة الرسالة التى يتضمنها قد تجوهل تماما. من الذى يستطيع القول بما كان يمكن أن يحدث لو أن

بيلاطس عمل بهذا الحلم وأعتق المسيح. (١)

آباء المسيحية الأوائل:

نظر آباء المسيحية الأوائل إلى الأحلام بنفس الطريقة التى نظر بها إليها أنبياء العهد القديم. فقد تقبلها جريجورى من نيسار Nyssar فى القرن الرابع الميلادى على أنها رسائل مقدسة واعتقد أنها مرآة للروح تعكس شخصية صاحب الحلم. وقد كتب فى مؤلفه المعنون on Making Man «صنع الانسان» من الممكن من خلال هذه الرؤى أن نحسن فهم أنفسنا الحقة وأن نقومها. واستخدم القديس أوجستين «أحلامه كقنوات إتصال بينه وبين ربه وملائكته وطلب منهم تكرارا أن يحافظوا على رغباته الظاهرة».

وقد كتب توماس الإكوينى بإستفاضة عن الطبيعة التنبؤية للحلم وهو يرى أن هناك سببا واحدا لكل من الحلم والحدث وهو مفهوم يذكرنا بفكرة «يونج» عن «التزامن» كما سيرد فيما بعد.

الأحلام فى العصور الوسطى:

بعد ملوك تيودور أصبحت الأحلام ملعونة من وجهة نظر الكنيسة. فقد تناسى الرسميون فى نظام الكنيسة المسيحية حقيقة أن الأحلام كانت فى الماضى تحذر وتلهم ومن ثم صنفت الأحلام مع غيرها من الفنون التى لها أسرارها على أنها من عمل الشيطان.

وقد تركت هذه النظرة الضيقة بصماتها على مجتمعات العصر الوسيط بصفة عامة. وتغير معنى كلمة حلم لتعنى الأمل الميئوس من تحقيقه. وصار الناس يقولون عن الشئ المستحيل: «إننا لا نحلم بعمل ذلك» ولا شك فى أن للأحلام خيالها الجامح كما سنرى فيما بعد. لكن ينبغى ألا نقصر مفهوم الحلم على ذلك فقط وإلا فإننا نكون قد إختزلنا مفهوم الحلم والغرض منه.

فى القرن التاسع عشر ظهر بريق ضوء فى الأفق. وبقدوم «فرويد» بدأت الأحلام

(١) فى هذه إشارة إلى صلب المسيح كما يرد فى الإنجيل لكن الإسلام كما هو معروف يرى أن المسيح لم يصلب ولم يقتل قال تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ المعرب.

ينظر إليها على أنها خبرات مقبولة جديرة بالإحترام مرة أخرى. إلا أن الأحلام فى هذه المرة أخذت صورة نفسية وليست دينية أو تنبؤية. وبهذه الطريقة طغى ثالوث الشخصية الجديد على المصادر الإلهية والخارجية الباعثة على الاستنارة والالهام والبصيرة وبعد النظر فى الأحلام. ويقصد بثالوث الشخصية ما ذهب إليه فرويد من أنها تتكون من جوانب ثلاثة: هى الأيد Id الهو أو الهى (الجانب اللاشعورى من النفس الذى يعتبر مصدر الطاقة الغريزية والإيجو Ego أى الأنا، والإيجو الأعلى super Ego الأنا الأعلى. واليوم ونحن نقترب من نهاية القرن العشرين فإن هذه الآفاق قد إتسعت أكثر لدرجة أن أى جانب يمكن تصوره من جوانب الحلم سواء كان دينيا أو دنيويا أصبح يحظى بإهتمام جاد مخلص.

الأحلام فى اليابان فى العصر الوسيط:

توجد كتابات كثيرة عن وسطاء الأحلام فى التراث اليابانى فى العصر الوسيط. ونعرف منها أنه كانت توجد أماكن لحضانة الأحلام فى معابد الشنتو والمعابد البوذية على السواء. إحدى صوامع الشنتو فى «يوسا» Usa فى «كيوشى» kyushi كانت خاصة بالإله Hachiman هاشيمان.

ومن المعابد البوذية كانت هناك ثلاثة معابد لها شهرة خاصة كمراكز للوساطة فى الأحلام. وكانت عملية إستشارة الوسيط متشابهة بصرف النظر عن التبعية الدينية سواء كانت شنتية أو بوذية. وبعد أداء مراسيم الإستعداد والإمساك عن الطعام تبدأ الرحلة إلى المكان المقدس حيث يتم العهد والقسم على أن يقيم «الحالم الوسيط» هناك لمدة معينة اعتقادا فى أنه سيرى حلما مفيدا. وكان عدد الأيام المتعارف عليه فى هذه الطقوس هو سبعة أيام أو واحد وعشرون أو مائة حيث يقضى الوسيط كل ليلة نائما فى القاعة الرئيسية قريبا من القداس الداخلى حيث مقر القداسة. وفى هذا المكان كان يعتقد أن الحلم المؤمل منذ مدة طويلة سوف يأتى ولكن ذلك لم يكن يحدث فى الغالب إلا فى الليلة الأخيرة من الترقب والانتظار.

كان المرض أكثر المتاعب التى كانت تدفع الناس لطلب العون من الأحلام وكثير من أولئك الذين بحثوا عن الدواء وجدوه. من بين مجموعات قصص القرن الخامس عشر مجموعة تعرف باسم هاسيدرا ريجنكى Hasedra Reigenki تصف

أعاجيب الشفاء التى تحققت عن طريق الاتصال فى الأحلام بالآلهة. إحدى هذه القصص تحكى عن رجل شوهه البرص أو الجذام فسافر إلى معبد هاسيدرا وبعد سبعة أيام وسبع ليال فى العزلة رأى فى المنام ولدا يظهر فى القداس الداخلى وقال: إن مرضك صعب جدا فى العلاج لأن سببه موروث من أعمال حياة سابقة (كارما)[1]. لكن مع هذا فإن كانون Kannon قد أمرنى بأن أشفيك. ثم قام الولد بلحس الرجل فى كل مكان. وعندما إستيقظ فى الصباح وجد نفسه نظيفا ومعافى. رجل آخر كان يعانى من مرض فظيع أيضا سعى إلى معبد هاسيدرا وبعد يوم وليلة رأى فى المنام ظهور ولد من القداس الداخلى أيضا ودهن جسمه بدهان. فى الصباح التالى ذهب عنه مرضه. فى كثير من هذه القصص يظهر شكل ولد صغير من أقدس الأماكن ويقوم كما يبدو بألوان عجيبة من العلاج.

من المشكلات الأخرى غير الصحية ما كان يحل عن طريق وسيط الأحلام أيضا. فهناك نقش يبين كيف أن قسيسا حفظ عن ظهر قلب فى حلم ليلة واحدة صفحة صعبة جدا لم يستطع حفظها فى اليقظة. وهناك رجل كان يحتقر لمظهره قد استعاد ثقته فى الحلم ليواجه العالم. وهناك نساء وصلن إلى درجة اليأس والبؤس كن يسعين بانتظام فى طلب مساعدة وسيط الأحلام وجميعهن عدن إلى حالتهن الطبيعية بعد الإستيقاظ من ليلة إيجابية الأحلام. وإلى هناك وفد إناس يسعون إلى معرفة المستقبل وقد كشفت لهم أحلامهم بالرؤية ما كان سيحدث.

وقبل ظهور البوذية كان الإمبراطور (اليابانى) هو أساسا الذى يقوم بأمور العلم وكانت حضانة الأحلام جزءا من واجباته الدينية. وقد إحتوى قصره على قاعة خاصة للأحلام مزودة بسرير خاص بحضانة الأحلام يعرف باسم كامودوكو Kam-udoko ـ فى إحدى المرات عندما هدد وباء فظيع أهل البلاد إستلقى الإمبراطور «سوجين» على سريره «كامودوكو» يطلب حلا لمساعدتهم. وقد تلقى هذا الحل عندما ظهر له فى المنام الإله أمونون يوشى Amonon Ushi وأخبره كيف يتفادى المصيبة التى كانت تكتسح البلاد بسرعة. وليس لدينا معلومات عن نوع الحل بالضبط لكنه كان حلا ناجحا.

(١) الكارما Karma هى مجمل أعمال الإنسان التى تقرر مصيره فى الآخرة حسب المعتقدات البوذية (المعرب).

أحلام القبائـــل:

عرف هنود أمريكا الشمالية قيمة المساعدة التى تقدمها لهم أحلامهم فى العيش معا فى أمان. وكانت قبائل الهورون Huron والايروكيوس Iroquios تقيم بصفة منتظمة احتفالات للأحلام تستمر عدة أيام أو أسابيع حسب ما يتجمع من مواد. وكانوا يجمعون أحلامهم معا ومنها يظهر نمط واضح يستعينون به فى رسم سياسية قبائلهم فى المستقبل.

ومـا زال الماوريون Maoris (سكان نيوزيلندا الأصليين) والزولوzulus فـى جنوب أفريقيا تولى اهتماما خاصا لتجميع الأحلام. ويطلق على مفسرى أحلامهم «الرجال الكبار» والإسكيمو فى «خليج هدسون» ورجال «الباتان» patani فى ماليزيا البعيدة يشاركون بعضهم فى الإعتقاد بأن الروح أثناء النوم تغادر الجسم وتمارس الخبرة فى عالم خاص فى الأحلام. وهم أيضا يعتقدون بأنه من الخطورة أن توقظ شخصا ما فجأة خشية ألا تجد روحه الوقت الكافى للعودة إلى البدن ومن ثم قد تقع فريسة عالم النسيان.

الأحلام الجماعية والشائعة اليوم:

إن الكورسيكيين (سكان جزيرة كورسيكا) أناس شفوفون بالأحلام. وقرى بأكملها يكون لها نفس الحلم فى نفس الليلة. ويبدو الأمر كما لو أن هناك روحا جماعية تسيطر عليهم عن طريق تبادل الخواطر أثناء النوم. وهذا الأمر بصرف النظر عن كنهه استمر لفترة طويلة وما زال يحدث حتى الآن.

قبيلة تيميار-سنويس: Temiar-Senois

إن قبيلة «تيميار» جزء من «سنويس فى ماليزيا وهى ما زالت متأثرة تأثيرا عميقا بتفسير الأحلام واستخدامها. والأحلام حسب فهمهم لها هى أجزاء من الشخصية تتكون من قوى روحية مستترة فى صورة خارجية يمكن التعرف عليها. ومع أننا نرى فى ذلك ظلالا من فكرة ««يونج» عن النماذج الأصلية أو الأنماط الأولية الشخصية والجماعية. فإن هؤلاء الناس عرفوا ذلك منذ قرون مضت. وهم يعلمون أطفالهم أهمية الأحلام فى سن مبكرة ويشجعونهم على مواجهة أى روح شريرة فى أى

كابوس أو حلم مزعج حتى يتقنوا ذلك قبل أن يكبروا. وعندما يصبحون كبارا يجمعون خبرات أحلامهم التى تعكس المستقبل فى مجموعها. وتكون نتيجة ذلك أنهم يستطيعون أن يروا الصعاب والمشكلات قبل ظهورها أو وقوعها. ولم يسمع عن أى جرائم أو أى عنف. وهم اليوم كمجتمع يعتبرون من أكثر الناس على الأرض قاطبة ديمقراطية وحسن تكيف.

هؤلاء الناس الذين لا يعرفون العنف ويعتمدون على أنفسهم اكتشفهم هـ. د. نونH. D. Noone فى سنة ١٩٣١. ومن يومها وهم يأسرون لب علماء الاجتماع الغربيين بطريقة حياتهم الآمنة المتزنة. إن ما أثر فى نفس «نون» هى الطريقة التى يعيشون بها وفقا لقانونهم الطبيعى الخاص. وعندما يقوم رجل بعمل كان يعطى نصيبه من المحصول لا بحسب مهارته وعمله وإنما حسب حاجته كما قال د. نون. هنا يبدو لب حلم كارل ماركس فى أن يعمل كل رجل حسب قدراته ويأخذ بحسب حاجاته.

ومن سوء الحظ أن البشرية غير قادرة على تحقيق حلمها فى إسعاد نفسها وتحقيق رفاهيتها. وهو أمر لا يبعث على الدهشة طالما أن البشرية بصفة عامة لم تتعلم كيف تحلم كما يحلم أهل تيمبار - سنويس.

أحلام شخصيات هامة:

١ - الاسكندر الأكبر:

منذ أكثر من ٢٣٠٠ سنة وقبل أن يرى هتلر حلمه المشهور كان هناك قائد عالمى آخر طموح. وقد رأى هو الآخر أحلاما، وتصرف بناء على الرسائل التى تضمنتها. إنه الاسكندر الأكبر. وليس بغريب أنه عندما كانت مدينة تايروسTyros تحت الحصار حلم الاسكندر تلميذ أرسطو أن ساتيروس Satyros (وهى روح من الطبيعة) رقصت على درعه. وقد فسر ارستاندر Aristander مفسر أحلامه الخاص هذا الحلم بطريقة التلاعب بالألفاظ بتقسيم الحروف فى كلمة Satyros وإعادة ترتيبها ومن ثم كشف رسالة مشجعة تقول «إن تيروس لك». وهذا حمل الإسكندر على تجديد هجومه على المدينة وكانت النتيجة أنها إستسلمت على الفور.

٢ - يوليوس قيصر:

بعد ذلك بثلاثمائة عام كان يوليوس قيصر ـ الذى يقال إن هتلر إتخذه نموذجا له ـ حالما كبيرا وقد عمل سواء عن معرفة أو غير معرفة حسب واحد على الأقل من أحلامه. فعقب حلم مثير بصفة خاصة حيث حالف فيه أمه وقرر أن يعبر بجيشه الروبيكون Rubicon وهو مجرى مائى صغير يمتد على حدود سيسالبين cisal-pine. وبفعله هذا وجد نفسه فى حرب مع مجلس الشيوخ senate لأنه فى الواقع غزا أرض وطنه. ومن المؤسف أنه لم يهتم بحلم زوجته الذى يحذره من الخطر الذى واجهه يوم «العيدس» (أى اليوم الخامس عشر) المميت من شهر مارس. ولو أنه فعل ذلك لبقى حلم كالبورينا Calpurnia تحذيريا ولم يتحول إلى حلم تنبؤى تحقق.

٣ - جان دارك:

بعد ذلك بقرون طويلة جاءت «جان دارك» وحلمت أنه مقدر لها أن تنقذ فرنسا. وقد زودها ذلك بالإضافة إلى أحلام نهارها المرئية بأفكار عبقرية أقنعت «الدوفين» وهو الإبن الأكبر لملك فرنسى «بأنها قادرة تماما على تحقيق ذلك. ولقد اتهمت فى رواية «برنارد شو»: «القديسة جان» بأن أصوات أحلامها كانت نتيجة تهيؤاتها أو تخيلاتها. وقد أجابت على ذلك بقولها هذا صحيح بالطبع فهذه هى الطريقة التى تصل بها رسالات السماء.

٤ - نابليون:

نابليون منقذ آخر لفرنسا وقد إستخدم أحلامه لتخطيط حملاته العسكرية فكان عندما يستيقظ من النوم يسجل إنطباعاته الليلية ثم يضعها موضع التنفيذ مستخدما نماذج اللعب من الجنود وصناديق الرمل ليرى كيف تنم التحركات والتحركات المعاكسة.

٥ - بسمارك[1]:

عندما مات نابليون كان عمر بسمارك - رجل ألمانيا المقبل - ست سنوات. وقد عرف بثقته الزائدة بنفسه. ولم يكن معروفا آنذاك أن ذلك يرجع إلى أحلامه التنبؤية

(١) هو الأمير أوتوفون بسمارك (١٨١٥ ـ ١٨٩٨) سياسى ألمانى مشهور أول مستشار أو رئيس وزراء للإمبراطورية الألمانية (١٨٧١ ـ ١٨٩٠). المعرب.

أساسا التى خبرها فى طفولته، وفى أوائل عمله العسكرى. وقد كتب فيما بعد فى رسالة بعث بها إلى «الامبراطور وليم» يقول : «إن إتصال جلالتكم شجعنى على تذكر حلم رأيته فى ربيع ١٨٦٣ أثناء أسوأ أيام الصراع. لقد رأيت فى منامى أننى راكب على حصان وأسير فى ممر ألبين Alpine الضيق. وكان على يمينى جرف وعلى يسارى صخور. ثم رأيت الممر يزداد ضيقا كلما سرت فيه حتى رفض حصانى الإستمرار فى السير. وكان من المستحيل أن أستدير أو أنزل. عندئذ ضربت الصخرة الملساء بسوطى وإستغثت بربى ووجدت السوط يستطيل لدرجة هائلة وسقط الحائط الصخرى كقطعة من منظر طبيعى فى بوهيميا. وكان هناك قوات بروسية معها أعلامها. وقد جاءتنى الفكرة فى منامى بأنه ينبغى على أن أكتب لجلالتكم عن ذلك.

لقد شجعت هذه الرسالة الواثقة بسمارك على أن يسير على نفس السياسة التى نهجها. ونجح فى بروسيا وتولى قيادة الاتحاد الألمانى ممهدًا بذلك الطريق لأرض آباء هتلر.

٦- هتلر: (١)

ليست كل الأحلام ذات التأثير طويل المدى مفيدة لأقدار البشرية أو هكذا تبدو من النظرة القصيرة كما يتضح من المثال التالى. فى ليلة معتمة من شهر نوفمبر ١٩١٧ كانت القوات الألمانية والفرنسية تواجه بعضها عند «سوم» Somme بالضرب القاتل بالمدفعية. وفى غرفة ألمانية محصنة تحت الأرض نام عريف مجهد ورأى حلما فى صورة كابوس مزعج رأى فيه أنقاضا وقطعا أرضية منصهرة تنزل عليه بصورة مدمرة وخانقة فاستيقظ على الفور وفر إلى الخارج حيث هواء الليل البارد، وحمد الله على أن الأمر كان مجرد حلم مزعج. وما إن مرت ثانية حتى سقطت قنبلة فرنسية على الحجرة المحصنة التى غادرها وقتلت كل من فيها. وعندما تبين الجندى أن الحلم قد أنقذ حياته شكر ربه وأحس بأنه أنقذ حتى يستطيع بدوره يوما ما أن ينقذ وطنه. إن اسم صاحب هذا الحلم هو العريف «أدولف هتلر». إن

(١) كان وضع الكلام عن هتلر فى الأصل الانجليزى رقم (١) وقد غيرنا ترتيبه محافظة على التسلسل التاريخى. المعرب.

التفكير فيما كان يحدث لو أن هتلر لم يكن فى هذه الصورة سنة ١٩١٧ لا يثير إلا تكهنات لكن مع هذا فإن الإغراء لا يقاوم لنفكر فيما كان يحدث لو أنه لم ير هذا الحلم؟ لو حدث ذلك لكانت أوربا والعالم فى مكان مختلف تماما بكل تأكيد.

ومن الواضح أن نرى بصرف النظر عن درجة الوضوح كيف كان لأحلام القادة العسكريين والسياسيين تأثيرها وبصماتها على صفحات التاريخ وكم كان الوضع مختلفا اليوم لو أنهم لم يعملوا وفق الرسائل والتعليمات التى تلقوها فى أحلامهم.

الأحلام والأدب:

قبل أن يصف «فرويد» المعارك المظلمة التى تدور فى عقول الرجال وقبل أن يكشف يونج عالم اللاشعور الجمعى المملوء بالصور والأنماط الأصلية والرموز كان هناك الشعراء والكتاب الذى سبقوهما بفترة طويلة والذين اكتشفوا كل ذلك وأكثر. لقد كانت أحلامهم كنوز معلومات فى كل الموضوعات تحت الشمس وألهمتهم فى التعبير عن الطبيعة النفسية العميقة المتناقضة للإنسان.

ولقد وجدنا كتابات أدبيةتعبر عن المواجهة بين الهمجية المكبوتة وحب الخير بين المؤلفين وغيرهم. وهذه الكتابات تشبه ما يسجله المعالج النفسى المعاصر فى سجلاته السرية عن الحالات التى يعالجها. فالخوف من النار أو جهنم ورؤية الأهوال عرفت منذ أزمان كجوانب لنفس الإنسان المجهولة المظلمة والتى أحسن أفلاطون تلخيصها فى كتاب «الجمهورية» حيث قال:«فى داخل كل واحد منا بما فى ذلك الرجال الخيرون توجد طبيعة وحشية غير نظامية تظهر للعيان فى أثناء النوم».

لا ينبغى لجيل «فرويد» ولا لفرويد نفسه أن يدهشوا بإكتشافاته عن حقيقة النفس الإنسانية لو أنهم قرأوا الآداب السابقة. فالحلم الرمزى عن الجنة المقام فى جنة شخصية من النعيم رؤى وكتب عنه فى صورة تعويضية واطار تحقيق الرغبة منذ زمن بعيد قبل أن يتناوله تحليل فرويد. فقصائد تنيسونTennyson الأولى مملوءة بالمناظر الطبيعية الليلية المأهولة بالعذارى وطيور العندليب بعيدة المنال وكلها شوهدت وسمعت فى الحلم. كما أن «كيتس»Keats بحدائق أحلامه كان يقتحم بصورة منتظمة بعض مناطق العقل التى لا تقتحم.

شكسبيـــر:

كان شكسبير من أكبر الحالمين على الإطلاق. فأعماله تتخللها إشارات عن النوم والأحلام تنقل لنا حالات من الواقع والوهم حيث نجد أنفسنا غالبا متورطين فيها. والواقع أن كولريدج Coleridge فى محاضرته عن شكسبير أصر على أن الطريقة الوحيدة لفهم رسالة الشاعر الملحمى أو البطولى هو أن نفسر رواياته على أنها سلسلة من الصور والأفكار التى خلقت وتشكلت فى الحلم.

وفى رواية «العاصفة» The Tempest حلم «كاليبان» Caliban بأنه رأى جزيرة مملوءة بالضوضاء والأصوات والهواء الطيب الممتع. وقد صرخ عاليا طالبا أن يحلم مرة ثانية. وتوحى شخصية الرجل الحكيم «بروسبيرو» Prospero أن الحياة ليست سوى حلم. إننا مصنوعون من مادة تشبه الأحلام وحياتنا محاطة ببعض من النوم.

وفى مأساة «ماكبث» تصور السيدة «ماكبث» وهى تسير فى نومها وتعيد تمثيل جرائمها. وهى بهذا تظهر أن لديها ذرة من الضمير. وقد جرى تذكيرها بأن النوم هو الملام عن أذى العقول.

وفى رواية «هاملت» نجد أمير الدانمارك يحثنا على النوم ففيه فرصة الحلم: «آه هذه هى الصعوبة ففى نوم الموت قد تأتى الأحلام وقد تخلصنا من هذا الجسم الفانى».

وفى رواية «حلم منتصف ليلة صيف» AMid Summer Nights Dream نجد عالما مأهولا بكثير من الصور غير الزمنية تمثل شخصيات من واقع الحياة. كما نجد أشكالا ظلالية ومختلفة من عالم آخر. وهكذا فى كل روايات شكسبير. والواقع أن المسألة متروكة لنا لنحدد ما فيها من عوالم الواقعى منها والرمزى. وعادة يكون الفوز فى جانب عالم الحلم الرمزى.

بانيـان وكولريـدج: Bunyan and Coleridge

كتب بانيان بروح مشابهة قصة Pilgrims progress وهى قصة رمزية فى صورة حلم. وهى فى حد ذاتها جعلته يفوز بلقب «الحالم الخالد». وكان يعرف أيضا بصورة أقل ودية بأنه «الحالم المجنون».

وهناك أيضا صمويل تايلور كولريدج الذى عرف كثيرا من الأحلام الخلاقة كان

أكثرها ثمرة حلمه المشهور «قبلة خان» Kubla Khan . ففى منزل ريفى منعزل فى «سومرست» كان «كولريدج» يعانى من توعك طفيف فى صحته جعله ينام لعدة ساعات. وخلال هذه الفترة عرضت له صور وجمل قام ليسجلها كلمة فور إستيقاظه. لكن من سوء الحظ أن رجلا من بورلوك Porlock قدم لعمل ما. فشغله وقطع عليه تفكيره مما ترتب عليه أنه فقد عدة سطور لم يستطع تذكرها. وهنا نرى أهمية تسجيل الحلم عقب الإستيقاظ من النوم مباشرة وبدون أى إزعاج أيضا.

لويس كارول: Lewis carroll

كان «شارلز لوتفيدج دودجسون» المشهور بلويس كارول عالم رياضيات أساسا لكن فى قصته المشهورة أليس فى بلاد العجائب Alice in wonder Land أوقع «أليس» فى عالم أحلامها بدخولها جحر أرنب. وإن المغامرات والمخاوف التى تحتويها قصته ليست أوهاما طفولية عابرة. وليس القصد منها تسلية العقول الصغيرة. ذلك أن بلاد العجائب مليئة بالشخصيات التى لا تطاق والألغاز والغرائب والتهديدات وخيبات الأمل التى تتصل بالعقل الناضج لا العقل الطفولى غير الناضج. وفيها أيضا المشاهد النفسية والروحية العميقة المغلفة كأنها حقيقة والمشاهد ذات الأبعاد الأخرى. كل هذه ترمى فى بؤرة الانصهار لذلك الحلم الرمزى الرائع. وهى تكون معا نوعا من الوهم الذى وصفه عن جهالة بعض نقاد الأدب غير المطلعين بأنه «هراء».

روبرت لويس ستيفنسون:

يبدو أن روبرت لويس ستيفنسون كان أحسن كتاب مقالات الأحلام وقصاصيها وشعرائها من حيث الجزاء المادى. وكان محظوظا أيضا فى أنه تذكر معظم أحلامه. وفى كتابه Across The Plains (عبر السهول) يذكر كيف أن قصصا بأكملها قد عرضت له أثناء النوم. وفى كل ليلة كان يلتقط خيط الخيال من حيث تركه فى الليلة السابقة ويواصل السير من هناك. وكانت هذه الحياة الليلية حقيقية لدرجة أنها أتعبته كثيرا. وكان لتفكيره فى أنه يحيا حياتين تأثيره الشديد عليه. وكان له أثار بعيدة المدى كما كتب هو فيما بعد يقول :

«لقد حاولت أن أكتب قصة عن هذا الموضوع: أن أجد جسما (أو وعاء) يحتوى

ذلك الشعور القوى لرجل مزدوج الوجود أو الحياة. وهو ما ينبغى أن يعرض لعقل كل مخلوق مفكر أو يغمره. لقد حاولت أن أعصر مخى طيلة يومى لعمل حبكة القصة. وفى الليلة الثانية حلمت بمنظر عن الشباك وانقسم المنظر فيما بعد إلى إثنين فيهما كان«هايد» Hyde يحاكم بسبب بعض الجرائم. وتناول المسحوق وحدث له تغير فى حضور القائمين بمحاكمته».

ولتردى لامير: walter de la Mare

يعرف «ولتر دى لامير «بأنه شاعر الرؤية. وقد كتب من بين ما كتب مجموعة منتخبات شعرية عن الأحلام. وفيها يبدأ القول:

«هناك وحش مزعج محبوس فى زنزانة لاشعورنا. ويجب أن نتأكد دائما أن لدينا المفتاح الذى يحفظها دائما مغلقة فى أمان».

أن هذه الملاحظة المأخوذة من بعض أحلامه تناقض البراءة الزائدة التى وجدها عند الأطفال ووصفها. وعلى كل حال فإنه بوصفه هذا الوحش الداخلى يتمشى على أقل تقدير مع كل أفكار أفلاطون ومعتقدات فرويد.

جراهام جرين:

«جراهام جرين» هو الفائز بجائزة القدس للكتاب سنة ١٩٨١. وهو يعتبر آخر القائمة الطويلة للمؤلفين الملهمين بالأحلام. وقد أخبر المستمعين عند تسلمه الجائزة بأن كتبه كتبت نفسها فى موت الليل. ويبدو أنه استيقظ أربع أو خمس مرات لتسجيل ملخص أحلامه والتى شكلت فيما بعد أساس رواياته. وقد قال إننى عندما أعمل بجد أعيد قراءة ما كتبته أثناء النهار قبل أن أذهب إلى السرير وتحل المشكلات أثناء نومى. وقد أضاف القول بأنه كان يحتفظ بمفكرة للأحلام كان يسجل فيها قصصه وبصائره التى يتمخض عنها عقلة الضيق.

إقتباسات أدبية مشهورة وغير مشهورة عن الأحلام:

لقد تغيرت كلمة «حلم» عبر السنين لتعنى «الأمل» كما تعنى الرؤية أثناء النوم. وهى فى هذا السياق تحل غالبا محل المعنى التقليدى وتوفر عمقا ولونا لعبارات بدونها تكون غير رومانسية. وقد جنى ثمار إستخدام الأحلام فى هذا المعنى كتاب

وشعـراء وقصاصـون كلاسيكيون بـل وكتاب غنائيـون شعبيـون. فقد عـرفوا الدور السحرى الذى تلعبه الأحلام فى حياتنا العاطفية واستخدموا ذلك كاملا فى أغانيهم. وفى السطور التالية بعض الإقـتباسات من بين الإقتباسات الـكثيرة التى عاشت طيلة قرون. بعضها يعود إلى عام ألف قبل الميلاد وبعضها حديث من أيامنا المعاصرة.

- **عن ديوجين ليرتياس:** Diogenes Laertius

السؤال الذى وجه له : ما الأمل ؟ وكان جوابه: حلم رجل استيقظ.

- **عن حكيم صينى:**

عندما يحلم الرجـال لا يتصورون أنه حلم. وبعضـهم قد يحلم وهو يحلم. ومن ثم عندما تأتينا اليقظة الكبرى هل سنعلم أن هذه الحياة كانت حلما كبيرا. إن الحمقى يعتقدون أنهم يقظى الآن.

- **عن بيثيان أوده:**

ليس الرجل سوى ظل حلم.

– فى ذات مرة رأيت أنـا تشونج تزو chaung-tzu فى منامى أننى فراشـة أرفوف هنا وهناك. فراشة لكل غرض وقصد. لقد كنت واعيا فقط بتتبع خيالى كفراشة. ولم أكن منتبها لفرديتى كفراشة. وفجأة إستيقظت وهناك رقدت مرة أخرى. والآن فإننى لا أعرف مـا إذا كانت رجلا يحلم بأنه كـان فراشة أو ما إذا كنت فـراشة وأحلم الآن بأننى رجل.

- **عن شكسبير:** سريع كالظل قصير كأى حلم.

- **عن فيكتورهوجو:** إن نابليون سرنمى (أى يسير وهو نائم) كبير لحلم تلاشى.

- **عن انجالز** J. Ingalis: أن تطهير السياسات حلم قزحى اللون.

- **عن توماس مور:** ليس هناك نصف حلو فى الحياة سوى حب حلم شاب.

- **عن سوينبرن:** أنسى أننى أتذكر وأحلم بأننى أنسى.

- **عن إليـزابث براوننج:** إن ما أفعله متضمن فيـما أحلم به. فالنبيد ينبغى أن يكون مذاقه من مذاق العنب الذى صنع منه.

- **عن إدجار آلين بو:** إن كل ما نرى أو يبدو لنا ليس سوى حلم فى حلم.

- **عن ويفر:** لا تحاول أبدا أن تذهب إلى هناك. فهناك حلم لن تجده. إن مثل هذه الأشياء الجميلة هى دائما وغالبا فى العقل.

- **عن تيلور كولريدج:** هذا مشهد للحلم به لا للإخبار عنه.

- **عن جون كيتس:** أمل البعد فى ظل حلم.

- **عن برسى شيلى:** السلام السلام. إنه لم يمت إنه لا ينام. لقد أفاق من حلم الحياة.

- **عن ستيفنسون:** كثير من الليالى الطويلة التى حلمت فيها بالجبن أينع معظمها.

- **عن إيلين هوبر:** لقد نمت وحلمت أن الحياة جمال.

وصحوت ووجدت أن الحياة نضال.

هل كان حلمى أذن أكذوبة ظليلة.

تضع ثقلها على قلب حزين ببطولة.

إن يجد حلمه سيكون لـــــــه .

نـــور ظهيـــرة وصدق لـــــــه .

- من الأغانـــى:

- إنى أحلم بالجنية ذات الشعر الخفيف البنى.
- أحلم بعيد ميلاد أبيض.
- أيها المحب للأحلام أحطنى بذراعك.
- أحلم بك وأنا بجوار وهج ضوء النار.
- أحلم بك أكثر مما تحلم بـــــــى.
- ما أريد أن أفعله أن أحقق أحلامـــــك.

الأحلام الاختراعية أو الكشفية:

إلياس هاو:

على كـثيـر من المختـرعين أن يشكروا أحـلامهم على إكـتشـافاتهم الفـريدة التى

أسهمت فيما بعد فى تطوير مجتمعنا وأسلوب حياتنا. فى القرن التاسع عشر كان هناك رجل يدعى «إلياس هاو» رأى فى منامه أن الأهالى يرمون بالرماح وفى نهاية كل رمح ثقب على شكل العين. وعندما إستيقظ عرف على الفور أنه حل مشكلة موضع الثقب فى الإبرة فى اختراعه الأخير وهو ماكينة الخياطة.

فريدريك أوجست فون كيكولى:

«لنتعلم أيها السادة كيف نحلم» بهذه العبارة استهل «فريدريك أوجست فون كيكولى» أستاذ الكيمياء فى «غنت» Ghent كلمته أمام المؤتمر العلمى سنة ١٨٩٠. ولشرح ذلك إستعان بخبرته المفيدة فى هذا الشأن. ذلك أنه كافح فترة من الزمن ليكتشف التركيب الجزيئى للبنزين (ميثيل البنزين الثلاثى) لكنه لم يحقق نجاحا. وقد وصف كيف جاءه الحل فى الحلم بقوله:

«أدرت الكرسى جهة النار وغلبنى النعاس. ومرة أخرى أخذت الذرات تتناثر أمام عينى. وفى هذه المرة بقيت المجموعات المغيرة بتواضع فى الخلف وإزدادت عينى العقلية حدة بتكرار رؤى من هذا النوع. وأصبحت الآن تميز التركيبات الأكبر من بين تكوينات متداخلة وصفوف طويلة وفى بعض الأحيان كانت متداخلة معا بدرجة كبيرة. فكانت جميعها تتوأم وتتلوى فيما يشبه حركة الثعبان. ولكن أنظر. ما هذا؟ أن أحد الثعبانين قد أمسك بذيله. وبرزت الصيغة ساخرة أمام عينى واستيقظت فى لمح البصر.»

لقد استطاع أستاذ الكيمياء «كيكولى» رؤية الثعبان يضع ذيله فى فمه أن يحول ذلك إلى «التسلسل المغلق أو نظرية الحلقة» التى وضعت أساس تركيب البنزين وهو اكتشاف أحدث فيما بعد ثورة فى الكيمياء العضوية.

جيمس وات:

لقد وجد «جيمس وات» نفسه من خلال حلم معاود أو متكرر يسير مرة ومرات وسط وابل من خردق من الرصاص الثقيل. وهذا المشهد المتكرر تركز فى رسالة مفادها أن الرصاص المصهور إذا أسقط من إرتفاع كبير فإنه يتشكل فى كرات

صغيرة. وقد اختبر ذلك ووجد أن الأمر كذلك. وبذلك أكتشف«رمان البلى» ومن بعدها لم ير هذا الحلم ثانية.

الأستاذ الفرنسى:

هناك تجربة مماثلة وإن كانت أقل تأثيراً فى تطبيقاتها هى تجربة أستاذ فرنسى فى الدراسات الإنجيلية كان يواجه صعوبة فى فك رموز نقش بابليونى معين. وعلى الرغم من إستشاراته لكل أصحاب الشأن فى كل أنحاء العالم ظل معنى النقش محيرا له. وذات ليلة جاء الجواب فى الحلم. وفيه رأى قسا بابليونيا يظهر أمامه وأعاد تنظيم الرموز وعلى الفور تحولت إلى رسالة واضحة مترابطة.

الموسيقى:

كثير من الموسيقيين سمعوا ألحانهم فى أحلامهم. وواحد من أمتع الأمثلة، يتعلق بسوناتا Sonata : (لحن موسيقى لآله مفردة أو آلتين) تسمى رعشة الشيطان The Devills Trill ولقد عزا المُلَحّن الايطالى جيوسيبى تارتينى Giuseppe Tartini للفلكى لانلاندى Lanlande أصل «السوناتا» التى كتبها عندما كان عمره واحدا وعشرين عاما. وكان ذلك مسجلا فيما كتبه «لانلاندى» عن أسفاره فى العالم وما واجهه فيها. ويبدو أن «تارتينى» حلم أنه باع روحه للشيطان ثم أعطاه الكمان الخاص به أيضا ليرى ما إذا كان يستطيع العزف عليه. وهذا ما قاله لانلاندى:

«كم كانت دهشتى عندما سمعته يعزف بمهارة فائقة «سوناتا» لها ذلك الجمال الفاتن الذى يفوق أجراً أحلام خيالى. لقد فرحت وسعدت وإحتبس نفسى وإستيقظت. وأمسكت بكمانى وحاولت أن أعزف اللحن الذى سمعته. لكن هيهات. والقطعة التى لحنتها بعنوان «رعشة الشيطان» كانت أحس ما ألفت لكن ما أبعدها عن اللحن الذى سمعته فى منامى».

الأحلام والفن والسريالية (١):

زودت الأحلام التاريخية وأحلام الكتب المقدسة الفنانين بموضوعات مثيرة للرسم حتى القرن الحادى عشر على الأقل. لكن لم يتسن الكشف عن الجانب

(١) السريالية أو الفوق واقعية مذهب فرنسى حديث فى الأدب والفن يهدف إلى التعبير عن نشاطات العقل الباطن بصورة يعوزها النظام والترابط (المعرب).

النفسى جوهرا وشعورا فى الأحلام إلا بظهور الحركة السريالية. والسريالية إسم أطلق على مجموعة من الفنانين فى فرنسا سنة ١٩٢٤ حاولت أن تعبر عن الأحلام وعمل العقل اللاشعورى فى لوحات فنية. ومع أن الأحلام المزعجة (الكوابيس) لم تكن غائبة عن خيال الفنان فان جويا Goya بصفة خاصة قد إمتاز فى هذا الجانب. وحتى ذلك الوقت لم يحاول أحد أن ينقل جو أو وسط خبرة الحلم ورسالته الرمزية. إن السريالية - كما يقول أندريه بريتون - «أبو الحركة السريالية» كما كان يسمى، تقوم على أساس الإعتقاد بالقدرة الكلية للأحلام. وقد بلغت ذروتها فى الثلاثينيات من هذا القرن. ومن الواضح أن التحليل النفسى كان المؤثر المسئول عن ظهورها. فمع تأكيد فرويد على التداعى الحر للأفكار والكبت الجنسى، والرمزية عند يونج ظهرت لوحات فنية صدمت العالم بجذورها الفنية. وحتى اليوم نجد أولئك الذين لا يهتمون بفهم الأحلام ناهيك عن فهم الفن يرفضون هذا النوع من الفن على أنه «زبالة».

إن لوحات«سالفادور دالى» التى تحمل عناوين مثل «تصميم الذاكرة» و«ميلاد الرغبات السائلة» و«أطياف الجاذبية الجنسية» و«جالد عميرة أو المستمنى الكبير» هى إنعكاسات واضحة لأنماط الأحلام عند فرويد. وكذلك التليفونات والأثاثات المنصهرة والساعات والعكازات والشواطئ الخالية والأجنحة الجائعة والشخصيات الأوديبية المترنحة. كلها خلقت جوا غريبا من عدم الإرتياح والاستحواذ مشابها للأحلام. وعلى نقيض ذلك نجد «ماكس أرنيست» برسوماته التى تحمل عناوين مثل «كسوة العروس» و«الطيور برؤوس النساء» و«الصخور العالية فى السماء» و«المستنقعات أو البرك الساكنة» و«الشخصيات الغريبة» وكلها تتمشى بدرجة كبير مع مفهوم «يونج» التقليدى عن الأحلام.

هناك فنانون آخرون فى هذه المجموعة إتجهوا إلى رسم أحلام القلق وتصوير المشاعر القوية للخوف والقلق فى صورة أو أخرى. وكانت أحلام التنويم المغناطيسى موضوعا شائعا أيضا فيها تظهر الصور بين حالتى النوم واليقظة. وهنا نجد السريالية بالتأكيد قد فتحت الباب عن عالمنا الداخلى. وهى بهذا قد أسهمت

بطريقتها الخاصة فى فهم الفن بصورة أحسن وكذلك فهم أنفسنا وبالطبع فهم الأحلام لأن الأحلام هى أشبه ما تكون باللوحات الفنية.

الأحلام والرؤى والعبقرية:

وصف ليوناردو دافنشى (فى الغرب) بأنه أكبر عبقرى عرفه العالم. وهذا الوصف له ما يبرره. فقد كان فنانا حالم الإلهام وكان نحاتا ومهندسا وموسيقيا وكاتبا ومخترعا مرموقا. ولقد صمم طائرة وغواصة قبل خمسمائة عام من إكتشافهما فى القرن العشرين.

إن العبقرى صاحب رؤية وصاحب الرؤية حالم. ونحن جميعا حالمون. ،ويمكن أن نكون جميعا أصحاب رؤية. ولكننا لسنا جميعا عباقرة. والفرق بين أمثال دافنشى فى هذا العالم وغيرهم هو أنهم يستطيعون أن يمسكوا بفكرة تراودهم فى هجوع الليل فى الأحلام ويخلقون منها حقيقة أو واقعا. والعالم الحقيقى بالنسبة لهم هو عالمهم الداخلى. وهم قبل كل شئ مستمعون جيدون لا للآخرين فحسب بل وللصوت الصغير الهادئ فى داخلهم.

ولا شك فى أن أحلام المشهورين وغير المشهورين عبر العصور قد ساعدت فى عمل التاريخ وتشكيل طريقة حياتنا المعاصرة. وأحلامهم على أية حال لا تختلف فى جوهرها عن أحلامنا. فعندنا جميعا أحلام تنبؤية وتحذيرية وإلهامية كما كان عندهم. ولكننا إذا لم نقبل هذه الأحلام كمصادر للقوة والفكر الأصيل وإذا لم نسلم بأننا نستطيع أن نحصل منها على كل المعلومات والحلول التى قد نحتاجها فى حيانا فإنها ستقنع بالبقاء منزوية فى الوراء كأصدقاء خجولين. وعندما نعترف بهذه الأحلام فإنها تتقدم على الفور وتبدأ فى ترتيب بيتنا مستقر روحنا. لكن هناك نقطة هامة قالها أستاد الجامعة كيكولى هى أنه ينبغى أولا أن نتعلم كيف نحلم.